سيميائية هوى الغيرة في قصة يوسف عليه السلام

The semiotics of the affection of jealousy in the story of Youssef, peace be upon him

الباحث: محمد خيا

طالب باحث بسلك الدكتوراه، النص دراسة لغوية ونقدية بكلية الآداب والعلوم الانسانية بمراكش، المغرب

تاريخ الاستلام: 2023/11/21 تاريخ القبول: 2023 /11/24 تاريخ النشر: 2023/12/15

الملخص:

يدرس البحث تمظهرات هوى الغيره في قصة سيدنا يوسف عليه السلام، وما تفرزه من دلالات عبر استكشاف مساراتها وبرامجها الهووية، واعتمدنا فيه منهج سيميائيات الأهواء للإجابة عن الأسئلة الآتيه: ما التمظهرات المعجمية والدلالية لمصطلح الغيرة في القصة؟ وكيف تجسد هذا الهوى باعتباره انفعالا بيذاتيا يهيمن على أطوار القصة من البداية إلى النهاية؟ وقد تم تقسيم البحث إلى قسمين: القسم الأول تم التطرق فيه ألى الأهواء في كتاب سيميائيات الأهواء من حالات الأشياء إلى حالات النفس، لمؤلفيه كريماص وفونتايني، وخصص القسم الثاني لدراسة المسار العاطفي لهوى الغيرة في قصة يوسف عليه السلام، حيث توصلنا في الأخير ألى أن الهوى عنصر مهم في إنتاج الدلالة، إذ هو الجسر الذي تعبر من خلاله الذات لتحقيق أفعالها، كما أن الهوى لا يعد برنامجا حكائيا إلا إذا تجاوز عتبات الاعتدال وصار مهيمنا على الذات، فهوى الغيرة مثلا يتقاطع مع هوى الحب باعتبار الأول نوعا من الحب تجاوز عتبات الاعتدال ليصل إلى درجة التملك ورفض المشاركه في الموضوع، ما أدى إلى هيمنة الصراع على العلاقات بين الذوات وتنوع برامجها في القصة.

الكلمات المفتاحية: سيميائيات الأهواء – قصة يوسف عليه السلام – تيمة الغيرة – الخطاطة الاستهوائية.

Abstract

The research studies the demonstrations of jealousy in the story of our master Youssef, peace be upon him, and the implications thereof through exploring its paths and its identity . In this, we adopted the method of the affective semantics to answer the following questions: What are the lexical and semantic manifestations of the term jealousy in the story? And how do you exemplify this identity as the subjective emotion that dominates the story from beginning to end? The first was addressed in the book "The Affective semantics", from the States of Things to the States of the Soul", by the authors Chrismas and Fontaini. The second was devoted to the study of the emotional course of the love of jealousy in the story of Joseph, peace be upon him. We finally concluded that identity is an important element in the production of evidence, as it is the bridge through which the self expresses itself to achieve its actions. Likewise, love is not considered a simulation unless it exceeds the thresholds of moderation and becomes dominant in self-control, for example, since jealousy intersects with love as the first is considered a type of love that transcends the thresholds of moderation, reaching the point of appropriation, and refusal, which led to the domination of conflict over relations between the various programs of the individual in the story.

Keywords: The semiotics of passions - The Story of Joseph Peace Upon Him - The Immortal of Jealousy - The Emotinal Calligraphy.

المقدمة":

شـــغلت الأهواء الفلاســـفة وعلماء الأخلاق والأدباء بما لها من دور في إثارة المباهج أو الأحزان، وحدوث أزمات أو تفاديها، وشـــحذ إرادة الإنسان أو تعطيلها. ومن خلال المسار التاريخي للنظرية السيميائية يتضح أن السيميائيين، بدورهم وإن من منظور مختلف، اهتموا بدور الإحساس في تحقيق البرامج الحكائية. فقد انشغل السيميائيون مدة طويلة بمعنى العمل أو حالة الأشياء (موضوع سيميائيات الفعل)، وخلال العقود الأخيرة أصبحوا يولون أهمية لمعنى الهوى أو للحالة النفسية (موضوع سيميائيات الأهواء)، فالعامل بقدر ما يعمل فهو يحس، ويحتاج إلى الحالتين معا لإثبات وجوده، وإظهار مشاعره ومواقفه، وبلوغ مبتغاه، والتواصل مع الآخرين بالتأثير عليهم أو التأثر بهم.

فكيف عالج كريماص وفونتاني الأهواء في كتابهما سـيميائيات الأهواء من حالات الاشـياء إلى حالات النفس؟ و ما هي أهم تمظهرات هوى الغيرة في قصة سيدنا يوسف عليه السلام؟

يعد كتاب "سيميائيات الأهواء من حالات الأشياء إلى حالات النفس" من الكتب التي أفاضت في الأهواء بروح علمية، وبحثت فيها بشكل متعمق، حيث حاول الباحثان ألجيرداس كريماص وجاك فونتاني تشييد نظرية للأهواء على نحو لا تلتبس فيه بالنظرية السيميائية العامة. وتضمن هذا الكتاب ثلاثة فصول: الفصل الأول نظري، تحدث فيه المؤلفان عن العدة المفاهيمية لهذه السيميائيات، وقاما في الفصل الثاني والثالث بدراسة هويين: هوى البخل باعتباره هوى موضوعيا، وهوى الغيرة باعتباره هوى بيذاتيا.

مقدمة الكتاب.

يعلن الباحثان في مقدمة كتابهما "سيميائيات الأهواء من حالات الأشياء الى حالات النفس" عن اهتمامهما بالنظرية السيميائية، إذ يصرحان مبدئيا بأنه: "يتوجب على النظرية السـيميائية أن تقدم نفسـها باعتبارها مسـارا، أي تنظيما تراتبيا لنماذج مترابطة فيما بينها، وأن تعيد النظر باسـتمرار في هذا المسـار الذي يعد في تصـورهما نشـاطا قيد البناء الدائم،لإعادة صـياغته منظورا إليه في تاريخيته على شـكل مسـار توليدي" [1]. فما هو أسـاسـي، عند كريماص، في دراســـة الهوى ليس هو التعرف على العلاقات الدالة على الأهواء ، بل الاهتمام بآثارها المعنوية كما تتحقق في الخطاب لأن هدف الكتاب كما يقول سـعيد بنكراد: " إن الهدف من الدراسـة ليس تقديم صـنافة شـاملة ممتدة لسـلسـلة من الأهواء كما يفعل الفلاسـفة وعلماء النفس وغيرهم ، ولا يتعلق الأمر بإصـدار جملة من الأحكام الاجتماعية والأخلاقية التي تدين هذا الهوى أو ذاك، بل إن هوى السـيميائيات هو هوى تركيبي دلالي لا يلتفت إلا للممكنات الكامنة التي يمكن أن تتجسد من خلال وجودها الأدنى كما تتحقق في القواميس" [2].

يتعلق الأمر إذن، في سـيميائيات الأهواء، "بدراسـة الهوى باعتباره سـابقا عن الممكنات الدلالية المسـتثمرة، فهو من حيث الطبيعة وممكنات التركيب يعد سلسلة من الحالات الانفعالية التي تتطور خارج البعدين المعرفي والتداولي (المكونين الرئيسين في النص السردي، إنه يشكل مسارا جديدا يطلق عليه المؤلفان البعد الانفعالي" [3]. فهوى السيميائيات هوى تركيبي يخضع لسيرورة تقوده من حالته الأولية المشتركة بين الجميع إلى حالة تحقق ضمن وضعيات مخصوصة وأدوار معينة، فقبل أن تكون هناك ذات عارفة، لم تكن سوى كتلة انفعالية خارج أي تفصل ولا تتحدد إلا بتبني الذات مواقف وأدوار محددة.

---

[1] . كريماص و فونتاني: "سيميائيات الأهواء من حالات الأشياء الى حالات النفس"، ترجمة و تقديم سعيد بنكراد، دار الكتاب الجديد المتحدة، طرابلس ،ط 2،4020 ،ص 49.

[2] . المصدر نفسه،ص ص10-11.

[3] . المصدر نفسه، ص 12.

الفصل النظري في الكتاب: إيستيمولوجية الأهواء

انكب المؤلفان كريماص وفونتاني في القسم النظري على بيان الأسس الإيستيمولوجية المتحكمة في معالجة الأهواء من منظور سيميائي، والتدليل على استقلالية وملاءمة البعد الذي يهم إشارة الانفعال، والبحث له عن موضع ملائم داخل المسار التوليدي العام.

ويقر الباحثان من خلال هذا الجزء على أن: "الأهواء تتجلى في الخطاب حاملة لآثار معنوية الخصوصية، باعتبار الهوى أريجا مبهما يتعذر تحديده، وأن التأويل الذي تبنته السيميائيات مفاده أن هذا العطر الخاص ينبعث من تنظيم خطابي للبنيات الكيفية[4].

دلالة هذا الكلام أن الأهواء تظهر في الخطاب بعطر خاص تمثل أريجا مبهما، ويركز المحلل السيميائي في دراسته للخطاب السردي على بنيتين أساسيتين:

*البنية السطحية للكشف عن المسارات السردية وحركة العاملين، وتشير إلى الوجود التركيبي للقيم كما تتجلى في صب السلوك داخل وضعية مخصوصة.

*البنية العميقة لتفجير البعد المنطقي والمفهومي للبنية، وتشير إلى مجمل العناصر الموصوفة في البنية الأولية التي يتم من خلالها تحديد جوهر الخزان الثقافي الذي يتحكم لاحقا في أشكال تحقق السلوكات المخصوصة.

هذا وقد جاء الفصل محملا بعدة مفاهيمية ومنهجية يصعب ضبطها على غير المتمرس في هذا العلم لأنها ينبغي أن تنطلق من دراسات تاريخية للسيميائيات في تطورها ونقدها، على اختلاف مدارسها المتعددة وأصولها الفلسفية والفكرية والعلمية والأيديولوجية والثقافية المختلفة، وبتنوع تطبيقاتها التحليلية المتنوعة. آنذاك يمكن إدراك مفاهيم سيميائيات الأهواء في عمقها الفكري والثقافي.

أما الفصل الثاني: الفصل التطبيقي

فقد درسا فيه شكلين من الهوى: البخل الذي يتجسد كهوى موضوع، ويصبح هوى بين ذاتي – intersubjectif في حالة التقويم الأخلاقي، والغيرة التي تتجلى في الهوى البين ذاتي.

واعتمدا على التحليل المعجمي لإغناء النماذج التركيبية وفهم مختلف تمظهرات وتجليات كل هوى على حدة؛ فانطلقا من المعاني المعجمية لتحليل الخطابات المنجزة (خطاب المعجم، وخطاب علماء الأخلاق، والخطاب الأدبي) للقبض على الاستخدام الجماعي والفردي للهويين المعنيين وما يستتبعانه من مرادفات وأضداد.

وأفردا فصلا لمعجمية البخل، ثم لمرادفيها (الشح والتقتير) ثم لأضدادها (التبذير والإسراف والسخاء والكرم)، وبينا أن البخل يعد برنامجا حكائيا متمحورا حول جمع المال والمحافظة عليه، وهذا يتطلب من البخيل الاقتصاد وعدم التبذير والإعراض عن متاع الدنيا (معرفة الفعل). ويتحدد الموضوع المبحوث عنه "المال" من زاوية البعد التداولي لأنه موضوع قابل للتخزين أو الاستهلاك، ويستتبع البخل، إيجاد الرغبة "التشبث بجمع المال" وواجب الكينونة (تقمص صورة البخيل) والمعرفة (اكتساب خبرة ومهارة جمع المال وعدم تبذيره).

ولا يقتصر المؤلفان على التمظهرات القاموسية والمعجمية فقط، بل ينفتحان على دراسة النصوص والخطابات لنمذجة الأهواء نمذجة سيميائية، وذلك من خلال دراسة أشكال المضامين.أي الانتقال من الدلالة المعجمية إلى التخطيب. ومن هنا، يرى الدكتور سعيد بنكراد كذلك أن:"

[4] . المصدر نفسه، ص67.

الأمر في الحالتين يتعلق بمحاولة الإمساك بالهويين ضمن خطاب، من خلال شكل تحققاتهما بعيدا عن الأحكام المسبقة، وبعيدا عن الصنافات التي قد لا تقدم أي شيء في مستوى بناء الدلالات. إنهما يقدمان من خلال صنيعهما هذا نموذجا جديدا لتناول الأهواء، وتحديد مضامينها استنادا إلى ممكناتها في الخطاب، لا استنادا فقط على ما يمكن أن تقوله القواميس، فالوجود الخطابي للأهواء رهين باستعمالاتها. لذلك، لا فائدة من مساءلة الصنافات التي قد تكون محكومة برؤية سابقة (دينية، واجتماعية، وأخلاقية). ولا فائدة من الاطمئنان الكلي للقواميس، فالقواميس لا تتكلم إلا من خلال إدراج ممكناتها ضمن ما هو أوسع منها أي الخطاب: إنها منطلق، وليست متنا تاما. وبعبارة أخرى، يتعلق الأمر بتحويل الأدوار الباتيمية (الانفعالية)، التي تشهد الأسماء، التي هي وحدات معجمية، على وجود استعمال ما لها، على باتيمات إجراءات، والإجراء هو التخطيب. أي: خلق مساحات جديدة قادرة على استيعاب ما تختزنه الأهواء من أسرار تخص الفعل والكينونة سواء بسواء.

منهجية تطبيق سيميائيات الأهواء في التحليل.

لابد على مستوى التطبيق من الالتجاء إلى الوصف المعجمي والدلالي لدراسة الباتيمات الانفعالية (pathèmes)، وإخضاعها للمستوى التركيبي، بغية تحديد المربع السيميائي والبنية الدلالية المنطقية التي تتحكم في توليد النص أو الخطاب الاستهوائي. وهنا، يتم استكشاف الملفوظات الانفعالية، وتحديد التوترات الاستهوائية، والتركيز على الذات الهووية، ودراسة الجهات والبرامج السردية الاستهوائية والفاعل الاستهوائي. كما تركز المنهجية على استكشاف الجسد باعتباره موضوعا إجرائيا، به يتم إدراك الشعور للعالم الموضوعي. ومن هنا، تدرس سيميائيات الأهواء ملفوظات الإحساس، والملتلفظ الذاتي، وآليات تخطيب الأهواء، والاستعانة بالبنية العاملية والسردية في تحليل الخطاب الاستهوائي. والانتقال من التلفظ إلى الأهواء. حيث تتم دراسة تمظهر الجهات، والتشخيص التصويري، وعمليات التلفظ. أي: المستوى الصرفي التركيبي الدلالي للعواطف[5].

أخيرا، تكمن أهمية الكتاب في أن مؤلفيه انتبها إلى العلاقة المحسوسة والانفعالية التي تقيمها الذات مع نفسها ومع العالم الخارجي. وانبريا إلى دراسة الأهواء، بعدة مفاهيمية سيميائية، لاستيعاب تنظيمها التركيبي والدلالي من جهة، وبيان شحنتها الانفعالية ودرجة كثافتها إبان تجسدها في شكل برامج مفترضة أو محققة من جهة ثانية. وعندما تتحقق في الخطاب، تصبح حمالة لدلالات معينة. ولا تكون لها دلالة إلا عندما تضطلع بها ذات تشعر بهوى ما.

إن إعادة بناء الأهواء من المنظور السيميائي أفضت إلى صياغة نظرية دلالية منسجمة، تتميز باستقلالية البعد الانفعالي (يُضاف إلى البعدين النفعي والتداولي)، وبصوغ خطاطة استهوائية معيارية (أسوة بالخطاطة السردية المعيارية). ومع ذلك حرص كريماص وفونتاني على " الوجود السيميائي المتجانس" حتى تندمج نظرية الأهواء داخل النظرية السيميائية العامة، ويحصل التفاعل والتكامل فيما بينهما[6].

ثانيا: هوى الغيرة من خلال قصة يوسف عليه السلام

حفلت سورة يوسف بأهواء وانفعالات كثيرة ومتنوعة كالحب والحسد والخوف والحزن والغضب والقلق والسرور، إلى غير ذلك من الانفعالات التي تناغمت وانتظمت في هذه السورة الكريمة؛ إلا أن هوى الغيرة كان انفعالا بارزا فيها وقد شكل المحور الأساس للقصة. فما هي التمظهرات الدلالية والمعجمية لمصطلح الغيرة؟ وما هي الحقول المعجمية الدالة على ذلك؟ ثم كيف تجسد هوى الغيرة في القصة باعتباره انفعالا أو هوى بيذاتيا كان حاضرا في القصة من بدايتها إلى نهايتها؟.

---

[5] . جميل حمداوي سيميوطيقا الأهواء (رواية الإرهابي20 لعبد الله ثابت أنموذجا) ط1 ، 2016، ص20.

[6] . محمد الداهي، "تقديم كتاب " سيميائيات الأهواء"" منشور على موقعه على الانترنيت.

1. المتن الحكائي

قامت الحبكة السردية في سورة يوسف– عليه السلام– على التسلسل المنطقي للأحداث عبر الزمن، وعلى تعدد الروابط بين الشخصيات؛ "إذ تتعاقب الأحداث على مسرح الحياة، وتتطور المواقف وتنمو شيئا فشيئا حتى يبلغ به السارد درجة عالية من الصراع والتوتر، ثم يعود بها في حركة إياب إلى الأخذ بموقف سابق لبنائه، والسير به قدما في معترك الأحداث السردية من النص، أو الشروع في بلورة موقف سردي آخر، له علاقة محكمة بالموقف العام للوقائع والأحداث المسرودة"[7].

وتتأسس القصة على شخصية محورية، وهي شخصية نبي الله يوسف عليه السلام، الذي بشّره الله بالنبوة في منامه، وقص الرؤيا على أبيه الذي أمره بإخفائها على إخوته، لكنهم علموا بالسر فدبروا له مؤامرة وألقوه في الجب، وأنقذته القدرة الإلهية، وبيع إلى وزير الملك، فراودته امرأة العزيز عن نفسه، وألصقت به التهمة فسجن، وفسر رؤيا صاحبيه في السجن، ثم رؤيا الملك، وتولى الإشراف على خزائن الملك بعدها، وكادَ لإخوته بحجز أخيه الصغير بنيامين ثم كشفه السر لهم، وتعرفوا عليه، ليلتقي بوالديه وإخوته وتتحقق الرؤيا.

فكان بحق الشخصية المحورية في البنية السردية للقصة، أما الشخصيات الأخرى: يعقوب عليه السلام، إخوة يوسف الكبار، أخ يوسف الصغير، أفراد القافلة، العزيز، امرأة العزيز، النسوة في المدينة، الشاهد، "الفتيان صاحبا السجن" ، الملك، فقد أنيطت بها وظائف ثانوية، أسهمت في دعم الشخصية المحورية "يوسف" وتنامي الأحداث فتنوع البرامج وتترابط حسب الشخصيات لتصير القصة متماسكة، فكانت البداية خطيئة ومعصية، و النهاية اعتراف بالخطيئة، وتوبة و مغفرة، وما بين البداية و النهاية صراع شديد برز في شكل ثنائيات متضادة: الحب و الكره، و الخير و الشر، و الشهوة و العفة، و اليأس و الفرح، و المرض و الشفاء. وهي ثنائيات قامت على نظام التضاد، فأعطت للبنية السردية شحنات عاطفية، وثراء لغويا وعمقا دلاليا.

وقد تتابعت الأحداث في سورة يوسف وفق نظام محكم دقيق، ليس لمجرد الحكي، بل جاءت متعاقبة يتلو بعضها بعضا في حلقات محكمة، تتسم بالوحدة العضوية، حيث تدور حول أبناء الضرائر، وحول المحبة، والكره، و الحقد، و الشهوة، و العفة، وتفسير الرؤيا، والعقوبة والبراءة.

والقصة مع أن بدايتها كانت تتصف بالحوار، يقول الله تعالى: ﴿إذ قال يوسفُ لأبيه يا أبت إني رأيت أحدَ عشرَ كوكباً والشمسَ و القمرَ رأيتُهم لي ساجدين، قال يا بني لا تقصصْ رؤياك على إخوتِك فيكيدوا لك كيداً إن الشيطانَ للإنسان عدوٌّ مبينٌ﴾ (يوسف 4،5)، غير أنها تميل إلى السردية الاستعراضية، وتزاوج بينها وبين الحوار في نسج البنى السردية وتشكيلها. فالسارد–الله تعالى– يستهل القصة بعنصر التشويق: ﴿نحن نقصُّ عليكَ أحسنَ القَصَصِ بما أوحينا إليك﴾ (يوسف 3) ، ويصور مبادئه السردية وقد أمسك مباشرة بحبل القصة وبمركزها: ﴿ لقد كان ليوسفَ و إخوتِه آياتٌ للسائلين. إذ قالوا ليوسفُ وأخوه أحبُّ إلى أبينا منا ونحن عصبةٌ إنَّ أبانا لفي ظلالٍ مبينٍ﴾ (يوسف 7–8) ، إذ السارد يروي الحدث، ويخبر عن مضمون؛ فالحوار في سياق الخطاب " أنبأ عنه القرآن على نحو من الموضوعية التامة التي تتوافق مع معطيات التاريخ والكتب السماوية. ففي قصة يوسف –كما عبر القرآن الكريم– آيات للسائلين– فهي علامات دالة بذاتها فيها عبر ومواعظ للمتلقي .

والمتأمل في النص يلحظ محركا خفيا كان دافعا مؤثرا وعاملا أساسيا في سيرورة الأحداث وبنائها وهو هوى الغيرة، فالغيرة كانت حاضرة في توجيه الأب يعقوب لابنه يوسف عليهما السلام، وهي سبب رئيس في تحرك الإخوة وما واكب ذلك من أحداث وهذا الهوى نجده حاضرا بقوة في جملة من القصص القرآنية بدءا بقصة إبليس الذي غار من آدم ورفض اتباع أمر الله مرورا بقصة قابيل وهابيل إلى هذه القصة وصولا إلى قصة اليهود مع الرسول صلى الله عليه وسلم الذين دفعتهم الغيرة إل إنكار ما أقرته كتبهم وأثبتته ألسنهم قبل بعثة الرسول صلى الله عليه وسلم، وغير ذلك من القصص القرآني.

[7] . بنية الخطاب السردي في "سورة يوسف"دراسة سيميائية، دفة بلقاسم، منتدى معمري للعلوم، 19 دجنبر 2010م.

فما التمظهرات المعجمية للغيرة داخل قصة يوسف عليه السلام؟

2. التمظهرات المعجمية لهوى الغيرة.

يحظى التمثيل الدلالي المعجمي بأهمية بالغة في سيميائيات الأهواء، لأنه يضبط المدونة الهووية (العاطفية).كما يعتبر تقطيع النص خطوة ضرورية إجرائيا لتحديد مختلف الدلالات المعجمية التي من خلالها ننفذ إلى عالم الأحاسيس داخل القصة. وفي قصة يوسف عليه السلام تتجلى تيمة الغيرة كهوى مهيمن على أطوارها. لذلك سنقف على مرادفاتها و أضدادها من خلال القواميس العربية.

- **الترادف**

لا تسعفنا المعاجم العربية التي وقفنا عليها بمادة غنية حول مفهوم الغيرة كما تجسدت في سلوك إخوة يوسف تجاهه، إذ انصرفت في تناول مادة (غ-ي-ر) إلى الحديث عن الغَيْر، والإغارة والتغيير والأغيار وما إلى ذلك.حيث يقول ابن فارس:" الغين والياء والراء أصلانِ صحيحان، يدل أحدهما على صلاح وإصلاح ومنفعة، والآخر على اختلافِ شيئين. فالأول الغيرة، وهي الميرة بما صلاح العيال. يقال: غرت أهلي غيرة وغيارا، أي مرتهم.

وغارهم الله تعالى بالغيث يغيرهم ويغورهم، أي أصلح شأنهم ونفعهم.

والغيرة بالفتح: مصدر قولك: غار الرجل على أهله يغار غيرا، وغيرة، وغارا.

ورجل غيور وغيران، وجمع غيور غير، وجمع غيران غيارى وغيارى"[8].

وباستخلاص ما ينصب في حقل اشغالنا؛ نجد معان محدودة منها: الأنفة والإباء والحمية والترفع والعزة والنخوة. لنستخلص بعد التأمل في هذه المعاني أن الغيرة هوى أو شعور تنفعل به النفس إذا أحست بتهديد خارجي يضيق علاقتها بمن تحب، فهي في بدايتها شعور نبيل حينما تكون أنفة وعزة ولكن تطورها في حال الغلو أو توالي التضييق تنقلب إلى غل وحقد وحسد بل إلى نار تحرق وتدمر نتيجة الإحساس بالخشية من ضياع الموضوع، وبذلك تدخل الذات في تنافس محموم قصد المحافظة على موضوعها، ويأتي تفاعل الذات مع الغريم بطريقتين مختلفتين:

فإذا أحس الغيور بتمكن غريمه من الموضوع فإنه ينتقل إلى محاولة الانتقام، و إذا لم يتمكن المنافس من الموضوع فإن الذات تحاول إبعاده والتقليل من شأنه قصد الانفراد بالموضوع المرغوب.

وينتج عن ذلك برنامجان:

الرغبة والحماس والحسد: تولد الغيرة لدى الغيور إحساسا بالألم يجعله لا يفكر إلا في الحفاظ على موضوعه و لا يبالي بالعواقب.

التنافس والتباري : "وضعية شخص أو مجموعة من الأشخاص يتصارعون للفوز بشيء ما"[9]، يكون للمتنافسين نفس الهدف ويستحضر كل منافس مؤهلاته النفسية و الذهنية لحبك استراتيجيات تمكنه من التفوق على غريمه.

- **الأضداد:**

أما في خانة الأضداد فنجد: التذلل والحقارة والخضوع والسفول. وهي صفات ذميمة تحط من كرامة الإنسان باعتباره إنسانا، فتنجلي الغيرة على أنها خلق نبيل لا يسمح بالتفريط حتى لا تقع النفس في الحقارة والنذالة. ولكن تصبح الغيرة سلوكا قبيحا بالنظر إلى امتداداتها كما سنرصدها فيما يلي:

---

[8] . ابن فارس، مقاييس اللغة،تح عبد السلام هارون، دار الفكر، بيروت، لبنان، 1979م، باب الغين والياء وما يثلثهما،ج4، ص404.

[9] . كريماص و جاك فونتاييني ، سيميائيات الأهواء من حالات الأشياء إلى حالات النفس،.ص 240.

الحزن	يؤدي الى الكربة والغم من كثرة التفكير في التخلص مما يهدد استقرار حالة النفس.
الغضب	ويؤدي غالبا الى الانتقام، وهنا تتحول الغيرة من شعور نبيل إلى عمل تنقدح منه شرارة العداوة.
الخوف	يؤدي غالبا الى التملك، الرغبة في الحفاظ على الذات.
القلق	"الشعور بعدم الارتياح من فقد الذات للموضوع.
الحسد	وهو ألم عاطفي يؤدي غالبا الى ألم بدني، ويكون موجها إلى الطرف المهدد.

3. التمثيل الدلالي لحقل الغيرة:

تنطلق الغيرة في القصة من معرفة الإخوة بمكانة يوسف عليه السلام عند أبيهم، وتستمر بترتيبهم للتخلص منه، وقد جاء ذلك في قوله تعالى:

- قَالَ يَٰبُنَيَّ لَا تَقۡصُصۡ رُءۡيَاكَ عَلَىٰٓ إِخۡوَتِكَ فَيَكِيدُواْ لَكَ كَيۡدًاۖ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لِلۡإِنسَٰنِ عَدُوّٞ مُّبِينٞ (سورة يوسف الآية 5). وتدل الآية على" أن يعقوب – عليه السلام – كان أحس من بنيه حسد يوسف وبغضه؛ فنهاه عن قص الرؤيا عليهم خوف أن تغل بذلك صدورهم ، فيعملوا الحيلة في هلاكه."
- إذ قَالُواْ لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰٓ أَبِينَا مِنَّا وَنَحۡنُ عُصۡبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ (سورة يوسف الآية 8). يقول الإمام القرطبي في تفسير الآية الكريمة: " اللام فيه جواب القسم تقديره : والله ليوسف وأخوه) بنيامين (أحب إلى أبينا منا ، فقد كان يوسف وأخوه بنيامين من أم واحدة ، وكان يعقوب عليه السلام شديد الحب ليوسف عليه السلام ، وكان إخوته يرون من الميل إليه ما لا يرونه مع أنفسهم فقالوا هذه المقالة (إن أبانا لفي ضلال مبين) أي في خطإ بين في إيثاره يوسف وأخاه علينا ، وليس المراد من الضلال عن الدين ، ولو أرادوه لكفروا به ، بل المراد منه : الخطأ في تدبير أمر الدنيا ، يقولون : نحن أنفع له في أمر الدنيا وإصلاح أمر معاشه ورعي مواشيه ، فنحن أولى بالمحبة منه ، فهو مخطئ في صرف محبته إليه ."
- ٱقۡتُلُواْ يُوسُفَ أَوِ ٱطۡرَحُوهُ أَرۡضٗا يَخۡلُ لَكُمۡ وَجۡهُ أَبِيكُمۡ وَتَكُونُواْ مِنۢ بَعۡدِهِۦ قَوۡمٗا صَٰلِحِينَ (سورة يوسف الآية9). تبين الآية الرغبة في إزاحة يوسف عليه السلام من طريقهم للاحتفاظ بمكانتهم عند أبيهم.
- وَرَٰوَدَتۡهُ ٱلَّتِي هُوَ فِي بَيۡتِهَا عَن نَّفۡسِهِۦ وَغَلَّقَتِ ٱلۡأَبۡوَٰبَ وَقَالَتۡ هَيۡتَ لَكَۚ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ رَبِّيٓ أَحۡسَنَ مَثۡوَايَۖ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ (سورة يوسف الآية 23). يعني مراودة امرأة العزيز له وطلب الفعل، والمراد ها هنا أنها دعته إلى نفسها ليواقعها، وغلقت الأبواب أي: أطبقتها، وكانت سبعة، وقالت هيت لك . أي: هلم وأقبل.
- قَالَتۡ فَذَٰلِكُنَّ ٱلَّذِي لُمۡتُنَّنِي فِيهِۖ وَلَقَدۡ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفۡسِهِۦ فَٱسۡتَعۡصَمَۖ وَلَئِن لَّمۡ يَفۡعَلۡ مَآ ءَامُرُهُۥ لَيُسۡجَنَنَّ وَلَيَكُونٗا مِّنَ ٱلصَّٰغِرِينَ (سورة يوسف الآية 32.) صرحت بما فعلت، فقالت: ولقد راودته عن نفسه فاستعصم أي: فامتنع، وإنما صرحت به لأنها علمت أنه لا ملامة عليها منهن وقد أصابهن ما أصابها من رؤيته، فقلن له: أطع مولاتك. فقالت راعيل: ولئن لم يفعل ما آمره ولئن لم يطاوعني فيما دعوته إليه، ليسجنن أي: ليعاقبن بالحبس، وليكونن من الصاغرين[1] .

نستخلص من خلال هذا الجرد للحقول المعجمية كيف تحول هوى الغيرة من دلالتة الأصلية التي تحتوي خصائص النبل والنخوة والعزة في علاقة ارتباط الذات بالموضوع. فحب الإخوة للأب وارتباطهم به وحفظ مكانتهم عنده أدى إلى حزن وقلق على المكانة الضائعة في نظرهم "أحب إلى أبينا منا"، ليتطور الأمر إلى غضب مدمر كاد أن يعصف بيوسف في محاولة منهم للتخلص منه، "اقتلوا يوسف أو اطرحوه أرضا" بعدما أحسوا بالاهتمام

الزائد الذي فرضه خوف يعقوب على يوسف بعد الرؤيا التي أخبره بها، ليصير الأمر في النهاية حسدا قاتلا ونارا محرقة تتأجج في صدور الإخوة. كما انتقل إحساس الحب عند امرأة العزيز من الرغبة في التملك إلى محاولة الانتقام.

4- الخصائص التركيبية لهوى الغيرة:

"الغيرة هوى بيذاتي يشتمل على الأقل وبشكل كامن على ثلاثة ممثلين: الغيور والموضوع والغريم ."

ونمثل للعلاقة كالآتي:

ذات 1 في علاقة فصل مع ذات 2 ، والسبب هو وجود ذات 3 تعيق ذلك الاتصال مما يؤدي إلى عدم تحقيق ذات 1 موضوع القيمة وهو الإحساس باهتمام ذات2 وتبدأ في البحث عن طرق أخرى للضغط على ذات 2 للحصول على المبتغى وذلك من خلال محاولة تنحية المعيق الذات3 برميه في الجب أو الزج به في السجن.

النموذج العاملي:

يكون تفعيل العناصر المشكلة للنموذج العاملي كما يلي:

1-الخطاطة السردية:

هي نتاج التمحيص النقدي الذي قام به كريماص تجاه مورفولوجية بروب، إذ استبدل مفهوم التتابع الوظيفي بما يطلق عليه بالخطاطة السردية التي تتحدد انطلاقا من أنه: إذا كان نص سردي ينطلق من النقطة (أ) ليصل إلى (ب) وكيفما كانت طبيعة نقطة البدء و النهاية ، فان الانتقال من الحالة الأولى إلى الحالة الثانية لا يتم إلا عن طريق قواعد ضمنية. وبناء على هذا يجب التعامل مع هذا الانتقال كعنصر مبرمج بشكل سابق داخل الخطاطة السردية.

ويتم تحديد هذه الخطاطة من خلال:

- **التكون:** ونعني به جملة الملفوظات السردية التي تعنى باكتساب معدلات الكفاءة(الرغبة-القدرة-المعرفة) التي تسمح للفاعل الأساسي بالانتقال إلى مرحلة الأداء أو الإنجاز.وبالتالي فان التكون يعني اكتساب الكفاءة للقيام بالفعل. «الشعور بالإقصاء من حب الأب و تفرد سيدنا يوسف بذلك.»/ التأثر بجمال سيدنا يوسف من طرف امرأة العزيز و الرغبة في معاشرته.
- **الاستعداد:** بعد التكون نحن أمام فاعل ذات مؤهل و كفء و على أهبة الاستعداد للمرور إلى الفعل أو الأداء الذي هو اجتماع فاعل الفعل وفاعل الحال في عامل سردي واحد، وينقسم الأداء بحسب الموضوع إلى قسمين(رئيسي و استعمالي)، الرئيسي ينبني أساسا على تغيير علاقة فاعل الحالة بموضوع القيمة.أما الاستعمالي فيقوم على تحويل علاقة الفاعل الإجرائي بموضوع استعمالي.

"تولد بالاتفاق بين الإخوة للتخلص من سيدنا يوسف و عدم وجود حل آخر."/ " الاختلاء بسيدنا يوسف و تغليق الأبواب و إغواؤه.".

- **التحسيس:** إن هذا الاختبار يصل بالفعل السردي إلى صورته النهائية أي يمثل نقطة النهاية للفعل،وتجليه في الواقع. " إلقاء سيدنا يوسف في الجب"/ "الزج بسيدنا يوسف في السجن"
- **التقويم:** على هذا الأساس يكون الجزاء حكما على الأفعال التي يتم انجازها من البداية إلى النهاية. ويكون الحكم إما إيجابيا أو سلبيا حسب معايير المجتمع. "عدم تصديقهم من طرف يعقوب عليه السلام"/ " خروج سيدنا يوسف من السجن و توليه وزارة المال".

2- **المربع السيميائي:**

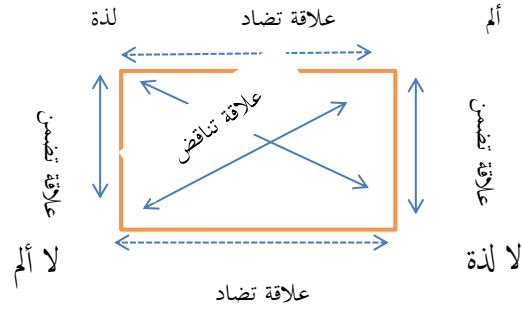

بناء النموذج العاملي:

تبعا للتحليل الدلالي المعجمي الذي قمنا به فإننا سنقوم بملء مربع اللحام على الشكل التالي:

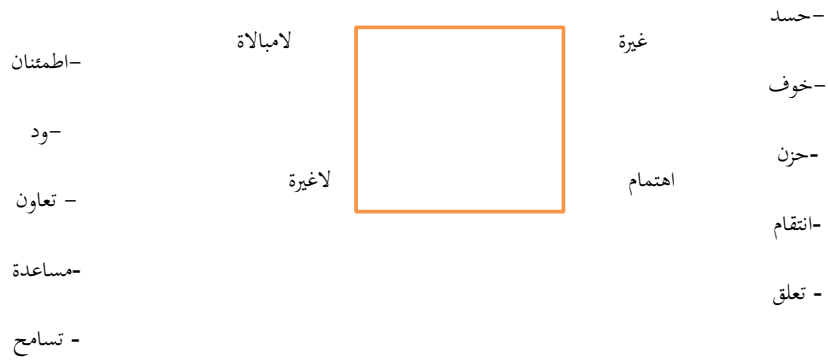

استنتاج: يصور لنا المربع السيميائي مجموعة من العواطف المتضادة اليأس/الأمل، التعلق/ اللامبالاة، الخوف / الاطمئنان، الانتقام / التسامح ، لكل منهما عاطفة مناقضة، لنتحصّل على ثنائيات اللايأس/اللاأمل، اللاتعلق/ الاهتمام، اللاخوف /اللا اطمئنان، التسامح/اللاتسامح، التي تتحقق الدلالة من خلال العلاقات القائمة فيما بينها.

وهنا نستخلص أن اختلاف وتباين العواطف في القصة أدى وبشكل واضح لخلق الدلالة، وأضفى على التراكيب نوعا من الجمالية و الاتزان وساهمت في تنمية الأحداث وحركيتها، وفق برنامج استهوائي تستوقفه محطات تساهم في بناء النص السردي.

3- الخطاطة الاستهوائية للغيرة:

1. عند إخوة يوسف عليه السلام:

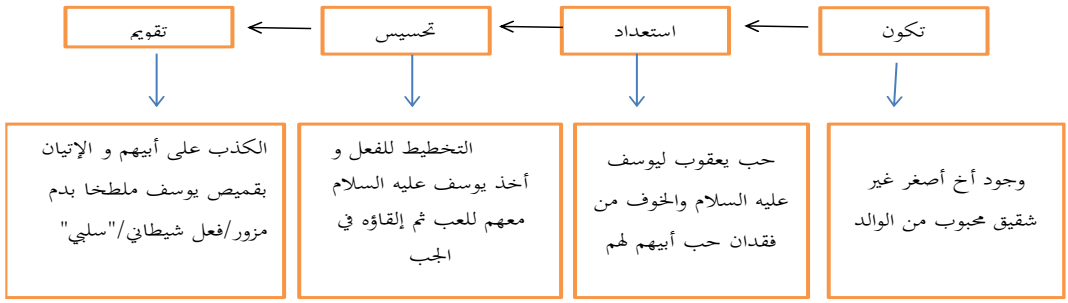

قام حب الأب وتفضيله لابنه الأصغر على إخوته بتحريك هوى الغيرة لدى الأبناء الآخرين مما أثر في إنتاج الأحداث وتسلسلها، فقد كان إخوة يوسف – عليه السلام – يشعرون أنهم أجدر بحب أبيهم من يوسف، كيف لا يشعرون بذلك وهم جماعة (عصبة)، وقوة الجماعة أكبر من قوة الفرد! فالجماعة أهم من الفرد، ودورها أعظم، فهم جماعة (عشرة إخوة)، من أب وأم واحدة، بينما يوسف من أم أخرى!.

لقد أدت بهم الغيرة الشديدة إلى أن يحكموا على أبيهم بالضلال المبين، وإلى أن يحكموا على يوسف بالقتل؛ فالحكم هنا بالقتل واقع مع سبق الإصرار، ومما يدل على تصارع الخير والشر في نفوسهم بشدة، إلى درجة دفعت أحدهم إلى أن ينصح بعدم قتل يوسف، والاكتفاء بإلقائه في جب (بئر)، لا يستطيع الخروج منه إلا بمساعدة المسافرين الذين سيمرون على الجب للاستسقاء.

عند امرأة العزيز:

1. عند امرأة العزيز:

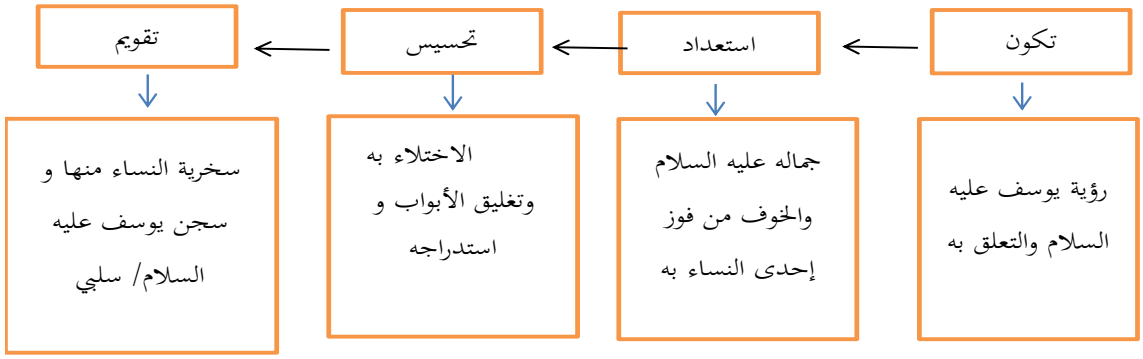

لم تنته محنة يوسف عليه السلام بإنقاذه من الجب، بل كانت بداية لابتلاء جديد، فقد عشقته امرأة العزيز واستسلمت لشهوتها وأرادت الاستفراد به، لكنه رفض تعففا وخوفا من الله،فزادت حبا له وتعلقت بجماله ما زاد من حيرتها واضطرابها ففضلت سجنه على أن تفوز به امرأة أخرى حسب ظنها، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على أن المحب يتبنى مواقف قد تضر بالمحبوب حين لا يتمكن منه، فالذات المحبة(امرأة العزيز) أرادت الاحتفاظ بالموضوع (حب يوسف عليه السلام) ولو بإدخاله السجن قصد إعادة المحاولة واتباع برنامج جديد للفوز به.

البنية العاملية للقصة:

- البرنامج العاملي عند إخوة يوسف عليه السلام:

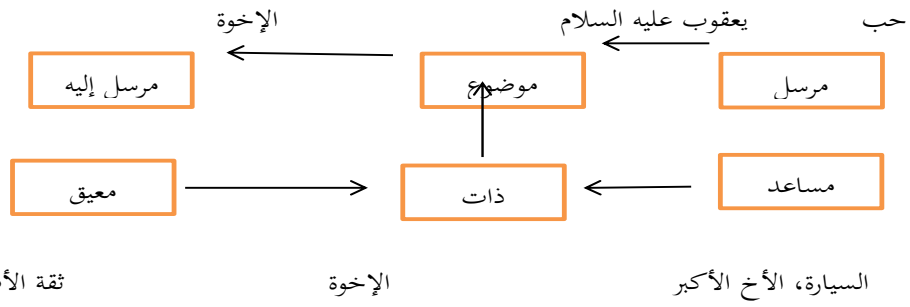

كان إخوة يوسف – عليه السلام – يشعرون أن أباهم يحب يوسف أكثر مما يحبهم، أو هكذا خُيّل إليهم، خاصة أنه الإبن الأصغر، ولكن الأبناء الأكبر سنا يعتقدون أن ذلك يخل بالعدل بين الأبناء؛ مما قد يؤدي إلى حصول الابن الأصغر على الاستئثار ليس بحب الوالدين فقط، بل بما قد يجود عليه الأبوان من أموال وممتلكات وغير ذلك من أساليب التفضيل. وهذا له ما يبرره في الواقع؛ إذ إلى جانب حاجة الطفل الأصغر إلى رعاية وحماية أكثر كما ينبغي الحال، فإن هذا الطفل غالبا ما يجد الصعاب قد مهدت له بفضل كدح الأبوين لمدة طويلة، وبفضل كد الإخوة والأخوات الأكبر سنا، الذين غالبا ما يقع عليهم عبء مساعدة الآباء والأمهات.

- **البرنامج العاملي عند زوجة العزيز:**

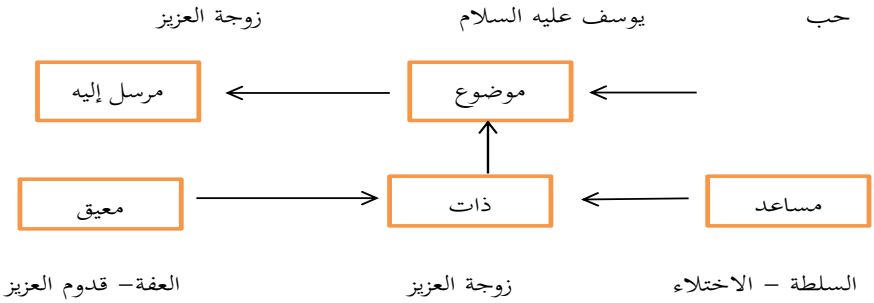

تبنت امرأة العزيز استراتيجيات متعددة للوصول إلى رغبتها، فقد بدأت بالتخفيف من خلال محاولة إثارة الرغبه البشرية في يوسف عليه السلام بإبراز مفاتنها والاختلاء به لكنها لم تفلح، ثم انتقلت إلى التهديد حيث غلّقت الأبواب وأمرته بالإقدام على الفاحشة لكنه ظل ثابتا ولم يستجيب لها، ما جعلها تنفذ انتقامها بإدخاله السجن قصد التخفيف من رغبتها وإبعاده عن النساء حتى لا تفوز به أحداهن.

- **البرنامج العاملي عند يوسف عليه السلام:**

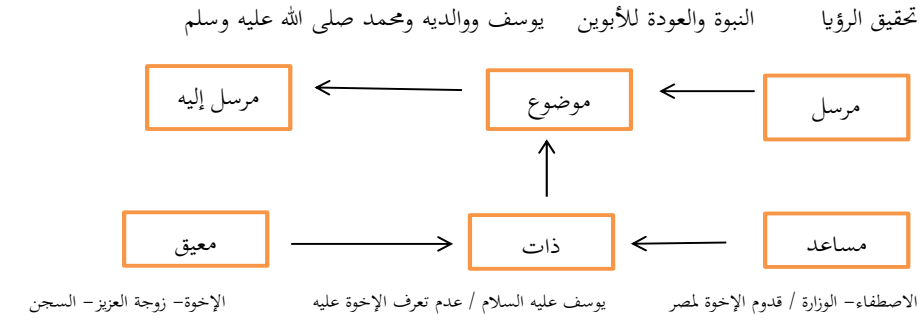

تتوالى الأحداث في القصة وفق تسلسل منطقي يتجه فيه البطل يوسف عليه السلام نحو تحقيق الرؤيا التي يمكن اعتباها مؤشرا سيميائيا أجج عواطف الأب وحرك غيرة الإخوة، ليصطدم بعد ذلك بصراع آخر مع زوجة العزيز التي حرك غيرتها جمال يوسف، ومنعتها عفته من بلوغ غايتها، حتى صار إلى السجن ومنه خرج شريفا ليتسلم مقاليد الحكم وليلتقي إخوته مرات عدة، قبل اجتماعه بأبيه وإخوته محققا الرؤيا التي انطلقت منها القصة.

خلاصات واستنتاجات

- لا يمكن استيعاب سيميائيات الأهواء إلا باستحضار سيميائيات الفعل ،وإدراك العدة المفاهيمية التي قدمها كريماص وفونتايني.
- الهوى عنصر مهم في إنتاج الدلالة ،فهو الجسر الذي تعبر منه الأفعال لتتحقق في الخطاب. فالبعد العاطفي يلعب دورا مهما في سيمياء الفعل ،وهو الذي يعطي فضاء للدلالات الجديدة .
- تمر سيميائيات الأهواء من خلال مخططها الاستهوائي بمجموعة من المراحل يتم خلالها الكشف عن هوى معين وفق مخططات و برامج تعتبر من أهم الآليات الإجرائية.
- تنقسم الأهواء إلى قسمين هوى موضوعي كالحزن واليأس إذ يرتبط الشخص بالموضوع المرغوب و يحاول الوصول إلى هدفه،وهوى بيذاتي كالغيرة التي تستدعي وجود ثلاث ذوات تتفاعل فيما بينها لتخلق حالات من التوتر غالبا ما تؤدي إلى الانتقام و تنحية الغريم.
- ويلاحظ تقاطع هوى الغيرة مع هوى الحب ،فالغيرة في أصلها حب تجاوز عتبات الاعتدال ليصل إلى درجة التملك ،ورفض المشاركة مع الغير في الموضوع ،فيهيمن الصراع على العلاقات بين الذوات ويجعلها تنقسم إلى ثلاث فئات فئتان تتصارعان للفوز بحب الفئة الثالثة . كما يلاحظ أن عاطفة الغيرة تنقسم إلى مجموعة من التوترات الجهية التي تؤدي إلى التنافس و التباري حول موضوع قيمة،أو التعلق الشديد بالموضوع و عدم التفكير في غيره.
- تتأسس تيمة الغيرة في قصة سيدنا يوسف عليه السلام على الإفراط في الحب والرغبة في الاحتفاظ بالمحبوب، وجاءت وفق برنامجين مختلفين: برنامج الإخوة الذي تأسس على الخوف من فقدان المكانة باعتبارها تقديرا مستحقا يهدده طرف آخر ويبطله ما يدفعها إلى محاولة إزالة منبع الخطر المتمثل في يوسف عليه السلام. وبرنامج امرأة العزيز حيث الغيور لا يبني تصاور شركائه في الغيرة، بل يكتفي بتصاوره الخاص ويحرك أسلحة سلطته للفوز بالموضوع، لكنه في حالة الفشل ينتقل من التعلق (الإعجاب) إلى اللامبالاة (سجن المحبوب).

لائحة المصادر والمراجع:

- القرآن الكريم.
- ابن فارس، مقاييس اللغة،تح عبد السلام هارون، دار الفكر، بيروت، لبنان، 1979م.
- البغوي، معالم التنزيل في تفسير القرآن، تح محمد عبد الله النمر – عثمان جمعة ضميرية – سليمان مسلم الحرش، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط4، 1997.
- جميل حمداوي سيميوطيقا الأهواء (رواية الإرهابي20 لعبد الله ثابت أنموذجا) ط1، 2016.
- دفة بلقاسم ، بنية الخطاب السردي في "سورة يوسف"دراسة سيميائية، ، منتدى معمري للعلوم، 19 دجنبر 2010م.
- شمس الدين القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، تح: أحمد البردي، دار الكتب المصرية – القاهرة

الطبعة: 2، 1964م.

- كريماص و فونتاني: "سيميائيات الأهواء من حالات الأشياء الى حالات النفس"، ترجمة و تقديم سعيد بنكراد، دار الكتاب الجديد المتحدة، طرابلس، لبنان، 2010.
- محمد الداهي، "تقديم كتاب " سيميائيات الأهواء"" منشور على موقعه على الانترنيت.